

الفصل العاشر

مالاكا^{٤٤}.. مدينة التاريخ

مدينة مالاكا هي مدينة التاريخ والحضارة في ماليزيا، فمنها دخل التجار الأجانب للبلاد ومنها دخل الإسلام ومنها دخل الاستعمار بكل ألوانه وأشكاله، لذلك تجدد المدينة تعج بالمزارات التاريخية التي تنتمي لكل العصور، وعدد كبير من المتاحف يحتاج إلى مرشد خبير ووقت طويل لتلم بها وبكنوزها، وهي تلخص التاريخ الماليزي كله، وكل شيء له متحف هناك حتى أنني رأيت متحفًا عن «حزب الأمنو» يعرض تاريخ الحزب وتاريخ رموزه.

والمدينة بالإضافة إلى قيمتها التاريخية فموقعها الجغرافي لا يقل أهمية فمضيق مالاكا هو أهم مضيق في قارة آسيا، ويقع في منتصف الطريق البحري بين سواحل الهند والصين، وهذا الموقع هو الذي تسبب في منحها هذه المكانة التاريخية المتميزة.

٤٤ وقد تكتب أحيانًا مالقة إلا أنني آثرت كتابتها «مالاكا» لأنها الأقرب للنطق الماليزي.

دخول الإسلام

وقد انتشر الإسلام في ماليزيا في القرن السابع الهجري تقريبًا، وقد كانت روابط شبه جزيرة الملايو، متينة مع جزيرة سومطرة الإندونيسية، والتي وصل إليها الإسلام أولاً؛ لأنها أقرب إلى الغرب، من حيث كانت تأتي السفن الإسلامية، وتتحكّم في طرق المحيط الهندي البحرية، وموانئه وبحاره، وينتقل المسلمون التجار والدعاة على السواحل يحملون مع بضائعهم العقيدة الإسلامية، وتعطي أخلاقهم صفةً تختلف عمّا يَصِفُ به بقية التجار، وكثيرًا ما كان الدعاة يتخذون التجارة وسيلة ليتّصلوا مع السكان، وليدعوهم إلى الإسلام ٤٥.

٤٥ وقد حدثني أحد المعلمين المصريين العاملين بماليزيا أنه يقول لزملائه المصريين أن الذين نشروا الإسلام في ماليزيا دخلوا البلاد كتجار لكنهم كانوا في الحقيقة معلمين ويضيف متهمًا «بالرغم من أننا جئنا كمعلمين لكننا في الحقيقة تجار»



مجسمات للتجار العرب الذين نشروا الإسلام بماليزيا- المتحف الإسلامي بمالقا

مصائب قوم عند قوم فوائد

في عام ١٢٥٨ تزامنًا مع سقوط بغداد بيد المغول وصلت إلى شبه جزيرة الملايو هجرات من العرب الفارين من بطش المغول الذين اجتاحتها قارة آسيا من شرقها إلى غربها، وساهمت هذه الهجرات في نشر العلم والدين بين سكان البلاد الذين احتضنهم وعرفوا لهم فضلهم وقاموا بحقهم وأكرموا نزلهم.

الأمير باراميسوارا

فالإسلام دخل شبه الجزيرة الملاوية منذ أكثر من سبعة قرون، ولا يوجد تاريخ محدد لدخول الإسلام إلا أن أشهر القصص الرائجة هي قصة الأمير باراميسوارا الذي أسس مدينة مالاقا، حيث كان أميراً في جزيرة سومطرة الإندونيسية ثم هاجر عبر البحر إلى مالاقا وفي طريقه بين الغابات جلس تحت شجرة فرأى كلباً يهاجم أيلًا، إلا أن الغريب أن الأيل تصدى للكلب ورفسه بقوة حتى خاف الكلب، واعتبر باراميسوارا ذلك فأل خير وأحس بخصوصية لهذا المكان، فقرر اتخاذه مقرًا لإمارته، وسماه «مالاقا» على اسم الشجرة التي كان يجلس تحتها، وجاء التجار المسلمون فقابلوا باراميسوارا وعرضوا عليه الإسلام فأسلم ونشر الإسلام بين رعيته وتأسست أول إمارة إسلامية في شبه جزيرة الملايو.



لوحة تجسد مشهد تصدي الأيل للكلب أمام باراميسوارا

وهناك شراب أسود لذيذ في مدينة مالاقا يسمونه «شراب باراميسوارا» يقدم للسياح، وهو يستخرج من ثمار الشجرة التي وقف عندها وأخذ قرار إنشاء مدينة مالاقا في هذا المكان، والمدينة كلها يفوح منها عبق التاريخ وهي مركز جذب سياحي من الطراز الأول.

واستمر أبناء وخلفاء باراميسوارا يحكمون بالشرعية الإسلامية في إمارتهم مع بعض الأحكام العرفية من العادات والتقاليد المحلية، ففي حين كان يتم قطع يد السارق ورجم الزاني المحصن وجلد الغير محصن كما تنص شريعة الإسلام، كان الشخص الذي يختلف مع آخر على ملكية شيء معين يضع يده في الماء الساخن هو وغريمه، فمن يرفع يده أولاً فهو

الكاذب باعتبار أن صاحب الحق هو الذي سيتحمل ويصبر على حقه ولن يفرط فيه! أو ينزل الخصمان تحت الماء ومن يرفع رأسه أولاً يعتبر مداناً! بدلاً من المبدأ الإسلامي المعروف «البينة على من ادعى واليمين على من أنكر»، لكن في المجمل أن نظام الحكم كان إسلامياً لكنهم كانوا حديثو عهد بالإسلام ولم يكونوا على دراية واسعة بعلوم الشرع.



لوحة تاريخية تظهر أحد الأحكام العرفية حيث ينزل الخصمان تحت الماء ومن يرفع رأسه أولاً يعتبر مداناً



تطبيق حد رجم الزاني والزانية في الامارة الاسلامية القديمة بمالاقا

الحملات الصليبية على ماليزيا

لما سقطت الأندلس وبدأت موجات الاستعمار تغزو العالم، وصل البرتغاليون إلى مالاقا عام ١٥٠٩م، ٩١٥هـ منطلقين من مدينة «غوا» بالهند، وقاموا بهجوم على مالاقا، لكنه باء بالفشل، فاحرقوا سفن تجار جوجارات الهنود.

وبعد عامين قاموا بهجومهم الثاني، ولكن قبل الهجوم ألقى قائدهم البوركرك خطاباً جاء فيه: «الأمر الأوّل هو الخدمة الكبرى التي سنقدّمها للربّ عندما نطرّد المسلمين من هذه البلاد، ونأرّ هذه الطائفة المحمدية، حتى لا تعود للظهور بعد

ذلك أبداً... وإذا استطعنا الوصول إليها فسيترك المسلمون الهند كلها، إن غالبية المسلمين وربما كلهم يعيشون على تجارة هذه البلاد، ولقد اغتنوا، وأصبحوا أصحاب ثروات ضخمة، و«مالاكا» هي مركزهم الرئيسي، فمنها ينقلون كل عام التوابل والأدوية إلى بلادهم دون أن نستطيع منعهم، فإذا تمكّنّا من حرمانهم من هذه السوق القديمة لا يبقى لهم ميناء واحد في كل هذه المنطقة ليستمرّوا في تجارتهم، وأؤكد لكم أنه إذا استطعنا تخلص مالاكا من أيديهم فستنهار القاهرة، وبعدها مكة نهائياً».

وبعد أن سقطت المدينة بأيديهم دقّت أجراس الكنائس في روما ابتهاجاً، وعمل البرتغاليون على محاربة المسلمين والكيد لهم بكل وسيلة ملكوها، ففتكوا بالأهالي.

وتذكر السجلات الملاوية القديمة، أن سلطنة مالاكا كانت تمر في هذا الوقت بمرحلة ضعف وابتعاد عن تعاليم الشريعة الإسلامية، حتى إن السلطنة لما أصبحت واقعة تحت تهديد الأسطول البرتغالي، وعرف أهلها عجزهم عن الدفاع عنها، اقترح أحد النبلاء على السلطان تدريس كتاب لشيخ اسمه محمد علي، فيه بعض التعاليم الدينية المهمة ليرجع الناس إلى دينهم ويتحمسوا للجهاد ضد البرتغاليين، ولكن السلطان

رفض الفكرة لبعض الوقت، ثم تراجع وسمح بتلاوة الكتاب على الأهالي، ولكن الوقت كان متأخرًا جدًا.

فسقطت المدينة بيد البرتغاليين، وفر سلطانها محمد شاه، إلى سلطنة باهانج القريبة، ومن هناك جمع المقاتلين وحاول استرداد مالاقا ٤ مرات في أعوام ١٥١٥، و١٥١٦ و١٥١٧ و١٥١٩ ولكنه لم يستطع اختراق تحصينات قلعة أفاموسا التي شيدها البرتغاليون، وما زالت بقايا قلعة أفاموسا باقية في مالاقا شاهدة على هذه المعارك والوقائع.

واستمر الاستعمار البرتغالي حتى سنة ١٦٤١م، إذ حلّ الهولنديون محل البرتغاليين، وتابعوا سياستهم في قتل المسلمين وملاحقتهم.

وفي عام ١٧٨٦م سقطت جزيرة بينانج في أيدي الإنجليز، ثم تبعتها سنغافورة، وبدأ التواجد الانجليزي ينافس الهولنديين.

المعاهدة البريطانية الهولندية

كانت ماليزيا واندونيسيا في هذا الوقت عبارة عن إمارات متفرقة خضعت للاحتلال الذي اختلفت جنسياته إلى ان عقدت بريطانيا اتفاقاً مع هولندا عام ١٨٢٤ اعترف فيه الإنجليز بسيادتها على جزر اندونيسيا (١٧٥٠٠ جزيرة) واعترف الهولنديون بسيادة الإنجليز على شبه جزيرة الملايو (ماليزيا حالياً).

وتم توقيع أولى سلاسل المعاهدات بين بريطانيا وسلاطين الولايات في عام ١٨٧٤، لفرض الحماية البريطانية والخبراء الإنجليز على السلاطين، وعملت بريطانيا على استغلال ثروات البلاد خصوصاً القصدير وأدخلوا زراعة المطاط، وجلبوا الهنود لحقول المطاط والصينيين لاستخراج القصدير، وانتشروا في الولايات المختلفة.

الاحتلال الياباني

خضعت شبه جزيرة الملايو للاحتلال الياباني في جنوب شرق آسيا، أثناء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤١ م، وقد وُضِعَت البلاد تحت الإدارة العسكرية اليابانية، وتمَّ تعيين رؤساء يابانيين لمختلف دوائر الدولة، غير أن مهمَّتهم كانت الإشراف فقط، بينما كان الموظفون الملاويون يقومون بأعمال الإدارة الفعلية، مما أكسبهم المهارة والثقة بالنفس والتي كانوا قد فقدوها خلال الاحتلال البريطاني.

الاستقلال

لكن بعد الحرب العالمية الثانية وبرغم انتصار بريطانيا إلا أنها خرجت من الحرب في غاية الإنهاك وبدأت في الانسحاب من مستعمراتها في الشرق ومنها ماليزيا، التي حصلت على استقلالها عن بريطانيا عام ١٩٥٧ بعد فترة طويلة من خضوعها للاستعمار البريطاني المباشر لقرنين من الزمان.

ويحتفل الماليزيون كل عام في يوم ٣١ أغسطس بعيد الاستقلال ويسمونه عيد «ميرديكا» أي عيد الحرية، وهو من أهم المناسبات الرسمية في البلاد.